يسعى إلى الجهات كافة فى وقت واحد، ثم يتكوم متضامًا، منهنهًا كاليتامى:

«تعودت عليها.. تعودتها».

ما كاد يدفع به إلى الهلاك حيرته، هل كشفت نفسها للأدبجى هنا فى مصر؟، فى بيته؟ أم أنه عرفها هناك؟ لو طاله، لو أمسكه بيديه.

لكنها لم تنسه، أرسلت إليه أخبارها عبر البطاقات والصور الملتقطة لها فى مطعم للبيتزا لم تفارقه إلا وهى ترطن بالإيطالية، أما المطعم الفرنسى الذى عملت حارسة لدورة المياه به، ثم نادلة، ثم مضيفة تستقبل الزبائن بابتسامتها الرقيقة، الشرقية، الدافئة، فأنهت عملها به بعد إتقانها الفرنسية، كان عملاً هادئًا، أحبته، وأحبت العائلة الصغيرة المالكة له، الزوج يدير، والزوجة تطبخ، والابن يدبر ما تبقى من أمور، خاصة البار الصغير، لم يضايقها إلا ظن الزبائن أنها جزائرية أو مغربية، لم تشعر فى حياتها بالاستقرار الحقيقى إلا فى المقهى المواجه للمؤسسة، وفى المطعم، لكن المرتب المرتفع لعاملة المصعد فى الفندق الكبير ذى النجوم الخمس كان إغراء لا يقاوم. فى الفندق أتقنت الألمانية لغة أهل البلاد تمامًا، وألمت بطرف من الروسية، والمجرية، أما الإنجليزية فتنطقها كالعربية تمامًا.

كل بطاقة أو صورة أو رسالة تنكأ عنده جراحًا ظن اندمالها، عندما تسلم صورتها، تقف بين مالكى المطعم، حدق طويلاً فى ملامح الابن، بدا وسيمًا، يفيض حيوية، هادىء البال. ما شغله، ما نكد عليه عيشه.. تساؤل ممض، هل ضاجعها؟ هل عرف ما أطلع عليه، ما خبره منها؟ ترى أين التقت بهذا الطبيب الثرى؟ أو المهندس الكيمائى؟ لا يعرف وظيفته بالضبط، لكنه متأكد من ثرائه، كان يمتلك الدنيا التى حلمت